الصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي.. المقاومة الثقافية للترسانة الحربية

The press and intellectual elite in Algeria during the occupation.. cultural resistance against the military arsenal

د. حجام الجمعي / جامعة العربي بن مهيدي /أم البواقي

hadjameldjemai@gmail.com

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى استحضار بعضا من ومضات الكفاح المشرق للصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ، وتسليط الضوء على ظاهرة ثقافية خالدة تبقى تلهم الاجيال في الوطن وخارجه بصفحاتها المنيرة كنموذج راق لركوب غمار الفعل التحرري وبأسلوب الكتابة الصحفية الحضاري ليكون بمثابة درس للإنسانية جمعاء. فالصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر جسدوا أحلى صور للكفاح التحرري الثقافي والفكري عبر التكيف الايجابي مع المناخ الخانق للحرية والمصادر للوجود ، فبرهنوا للعالم أن سلاح الافكار والأقلام أشد قوة وأعمق أثرا من دوي المدافع فصنعت الصحافة عبر النسيج الفكري للنخبة المثقفة الجزائرية بكتابها وشعرائها وعلمائها ومصلحيها وسياسييها الوطنيين حصنا منيعا للشخصية الجزائرية ولمقومات الدولة وكانت إسهاماتهم واضحة في التأسيس للنهضة الجزائرية الحديثة وترسيخ جزائرية الجزائر للأبد.

لتبقى بذلك الصحافة الثقافية الجزائرية خلال فترة الاحتلال ، سواء الصحافة الاصلاحية او صحافة المقاومة القلمية والسياسية أو الصحافة الاستقلالية مدرسة في إنتاج الوعي التحرري والقيم الانسانية

ونموذجا رائدا ورائعا في التمسك بشرف المهنية وجهاد الكلمة لتخليص البلاد والعباد من أغلال الاحتلال.

Abstract:

the aim of this article is to evoke some of the bright struggles of journalism and intellectual elites in Algeria during the period of the French occupation and to highlight on an immortal cultural phenomenon that will inspire generations at home and abroad with its illuminated pages as an excellent model to engage in the libertarian act and civilizational style of press writing to serve as a lesson for humanity. The press and educated elites in Algeria embodied the best images of the cultural and intellectual liberation struggle through positive adaptation to the atmosphere that is suffocating the freedom and confiscating the existence , demonstrating to the world that the weapon of the ideas and pens is stronger and more profound than the sound of guns. The press has fabricated impregnable fortress of the Algerian personality and the ingredients of of the state , that had been through the intellectual fabric of the Algerian intellectual elites and their contributions were clear in the establishment of the modern Algerian renaissance and the consolidation of Algerian Algeria forever. Thus the Algerian press during the period of occupation whether the reformist press, the press of

pen resistance or the independent press , remains a school in the production of liberation consciousness and human values and a pioneering and wonderful model in sticking to professional honor and the struggle of the word to rid the country and the people from the shackles of occupation.

مقدمة: قال نابليون بونابرت –صاحب مشروع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس– "إني أخاف من صرير الأقلام أكثر مما أخاف من دوي المدافع". وعليه فقد أدركت معظم الدول سيما القوى العظمى بالأمس كما اليوم وعلى مر التاريخ الدور الكبير للصحافة والإعلام في هندسة الوعي الاجتماعي وتشكيل الرأي العام حول مختلف المسائل ذات الاهتمام المشترك وحفظ الموروث الثقافي والحضاري للدول والشعوب وتحصينه من كل اشكال الغزو والتفكيك القيمي ، علاوة على دعم وإسناد القضايا المصيرية والتحررية إقليميا ودوليا وبينت التجارب أن الصحافة كانت دوما في قلب المعارك السياسية والثقافية الكبرى ، وكانت رافدا من الروافد المهمة التي تمد الدول والمجتمعات بمختلف الأفكار الخلاقة والمبادئ القيمية والأخلاقية والتربوية والدينية والفنية والتقنية وتساهم بفعالية كبيرة في إنتاج قيم المواطنة وتكريس الولاء للوطن وتعزيز الثوابت الوطنية.

لكن يجب التسليم بالمقولة القائلة بأن الصحافة سلاح ذو حدين ، بحيث يمكن أن تكون سلاحا فعالا في البناء كما يمكن أن تتحول إلى سلاح فعال بل وأكثر فعالية في الهدم ، ومن المفارقات الجيدة ، أن تستخدم قوى الاستكبار والشر العالمي الصحافة والإعلام بوسائلها التقليدية والحديثة لدعم وتشجيع خططها الإمبريالية والتوسعية

وتسهيل عمليات الغزو الثقافي والفكري للأوطان والشعوب ، وفي المقابل تستخدم الدول المستضعفة والمحتلة الصحافة والإعلام كأسلحة مضادة لمقاومة الاحتلال والتصدي لمختلف مخططاته الاستدمارية سيما تلك المستهدفة غزو العقول وتدمير البنية الفكرية للمجتمع وطمس الموروث الثقافي والحضاري المشترك. ومن بين أهم عوامل القوة في قوة الصحافة قوة النخب التي تكتب فيها وتساهم في إثراء النقاشات الفكرية المثارة على صفحاتها ، فهي بمثابة الخزان الإستراتيجي الذي يمدها بدفق الأفكار المساهمة في إنتاج الأنساق الفكرية والأنماط السلوكية ودعم القدوات الاجتماعية والتمكين للرموز الثقافية.

ومن هذا المنطلق فلا توجد صحف كبيرة خاضت معارك كبيرة بدون صحفيون كتاب وكتاب صحفيون كبار". فالصحافة التي تعد السلطة الرابعة كما ترد على ألسنة رجال الصحافة يعتبرها البعض "من أبرز عوامل النهضة في المجتمعات الغربية والعربية الحديثة ، وكان ظهورها في القرن التاسع عشر مؤشرا على نماء الوعي لدى رجال الفكر الّذين سعوا إلى الدفاع عن قضاياهم . وهي أحد الروافد الأساسية في تزويد الجماهير بالثّقافة والمعرفة الّتي عن طريقها يستطيع القارئ أن يتعرف على أخبار وأحوال العالم".[1]

ويمكن القول أن هذه المقاربة تتشابك مع المشهد الثقافي والإعلامي الجزائري خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي فرغم أن الجزائر والجزائريون عرفوا الصحافة عن طريق المحتل إلا أن بعض المثقفين تمكنوا من إتقان فنونها التحريرية وإدراك تأثيرها السحري واستلهموا من المدرسة الصحفية الكولونيالية القيم الخبرية والسياسة التحريرية واجتهدوا في توظيفها في استنهاض الوعي وتحريك الحماسة الشعبية نحو التحرر والاستقلال.

وتربط الكثير من الدراسات فهم الصحافة المكتوبة في الجزائر بالسياق العام للبيئة الثقافية خلال وقبل الاحتلال الفرنسي ، وانطلاقا من التحولات التي عرفتها الحركة الوطنية باعتبار أن "تاريخ الصحافة الوطنية يرتبط ارتباطا كبيرا بتاريخ الحركة الوطنية في الجزائر".[2] فبعد قرن من الزمن أي خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1930 وبعد تجارب الصحافة الكولونيالية وصحافة أحباب الأهالي والصحافة الإصلاحية وصحافة المقاومة القلمية والسياسية "ظهرت الصحافة الجزائرية التي لا تعترف بالوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وهو ما عرف بالصحافة الاستقلالية حيث بمجرد ظهورها أخذت تحارب بشدة الأفكار الاستعمارية وكل ما له علاقة بالوجود الاستعماري على أرض الجزائر وتنشر ما يقوي الوعي السياسي بوجود أمة جزائرية وبضرورة افتكاك الحرية من أيدي المحتل الغاصب والحصول على استقلال الجزائر سواء كانت هذه الصحافة تنطق بالعربية أو بالفرنسية ، فوق التراب الجزائري أو خارجه".[3]

فكيف ساهمت صحافة المقاومة القلمية والسياسية في إنتاج الوعي التحرري في الجزائر المحتلة؟ وكيف ساهمت النخبة المثقفة الجزائرية في إنتاج الوعي التحرري للمطالبة بالاستقلال الوطني في الصحافة الإصلاحية وصحافة المقاومة القلمية والسياسية ؟ وما هي أهم الأساليب المنتهجة لتجاوز مختلف العراقيل والصعوبات التي ضيقت الخناق على الصحافة الثقافية التي كان تغذيها النخب المثقفة بإسهاماتها الفكرية والعلمية والأدبية والسياسية لتحرير العقول من التفكير الأسطوري المشبع بالقدرية والحتمية الكولونيالية؟

1-مدخل عام لماهية الصحافة المكتوبة وأهم تطوراتها في الجزائر

1-1-ماهية الصحافة: الصحافة لغة، الصحافة إسم لمهنة من يجمع الأخبار والأفكار والآراء وينشرها في صحيفة والصحفي هو من يزاول مهنة الصحافة. وعرفت الموسوعة الاعلامية "الصحافة بكسر الصاد من صحيفة جمع صحائف أو صحف ، والصحيفة هي الصفحة وصحيفة الوجه أو صفحة الوجه هي بشرة جلده ، والصحيفة أو الصفحة هي القرطاس المكتوب أو ورقة كتاب بوجهيها وعلمها أو فنها سمي صحافة والمزاول لها يسمى صحفيا بكسر أو ضم أو فتح الصاد".[4]

قال الجوهري في معجمه تاج اللغة وصحاح العربية: "الصحيفة هي الكتاب". وعرف المعجم الوسيط الصحافة (بكسر الصاد) بأنها مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة وقد استعملت الصحيفة قديما في معنى كلّ ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات... مثل الصحيفة التي علّقت على جدار الكعبة تنص على مقاطعة الرسول – صلّى الله عليه و سلّم – و من اتبعه.[5] وفي القرآن الكريم وردت دالة على ما كان ينزل على الأنبياء والمرسلين من أخبار الأمم ومن الشرائع السماوية: "إنَّ هذَا لَفي الصحف الأُولىَ صحف إبراهيم وموسى".[6] " رسولٌ من اللهَ يتلُو صحفًا مطَهرةً ".[7]

أما الصحافة من **الناحية الاصطلاحية** فقد تعددت وتنوعت التعريفات الاصطلاحية للصحافة ، وتختلف باختلاف البيئات الثقافية والسياسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية للباحثين والدارسين، وتعني صناعة إعداد وإصدار الصحف بمختلف أنواعها. عرف أديب مروة الصحافة "بأنها تسجيل الوقائع اليومية بدقة وانتظام وذوق سليم مع

الاستجابة لرغبات الرأي العام وتوجيهه والاهتمام بالجماعات البشرية وتناقل أخبارها ووصف نشاطها ثم تسليتها".[8]

والصحافة حسب الدكتور أحمد زكي: "هي صناعة إصدار الصحف وذلك باستقاء الأنباء ، ونشر المقالات والإعلام ونشر الرأي والتعليم والتسلية ، كما أنها واسطة تبادل الآراء والأفكار بين أفراد المجتمع وبين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة".[9] ويرى الأخصائي والباحث بيار ألبير Pierre ALBERT أن "تشعب الصحافة يرجع إلى أنها تجمع في الوقت نفسه بين طبيعتها "كمنتجات صناعية وابداعات فكرية" إضافة إلى تنوع وظائفها إعلام، تربية تسلية، وتعدد أنواعها وعناوينها".

1-2-توضيح الإطار المفاهيمي للدراسة: تتعرض هذه الدراسة لمتغيرين أساسيين وهما الصحافة والنخبة المثقفة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي ، فكلاهما عامل مهم في صناعة وتوجيه الرأي العام عبر انتاج الانساق الفكرية والأنماط السلوكية. الصحافة التي ظهرت في أعقاب الاحتلال الفرنسي والتي أنشأها الجزائريون إدارة وتحريرا وتمويلا ، سايرت ظروف ومراحل تحول النضال السياسي والثقافي للنخبة المثقفة والسياسية الجزائرية. وكانت بمثابة المثقف للشعب في تحريره من مختلف أنماط التفكير الأسطوري وتوعيته بضرورة خوض غمار تحرير البلاد والعباد من الاحتلال الفرنسي.

ب.صحافة المقاومة القلمية والسياسية: هي صحف جزائرية إدارة وتحريرا وتمويلا ، بادر إلى إنشائها المثقفون الجزائريون وهي تختلف اختلافا جذريا عن صحافة الاحتلال من حيث الأهداف والسياسة التحريرية ، تبنت نهج المقاومة بالقلم المدر للأفكار وفقا

لمنهج التصدي الثقافي فكريا وعلميا ودينيا للمشروع الاستدماري ، عبر استقطاب كتابات النخبة المثقفة ذات النزعة التحررية من الاحتلال الفرنسي.

ج.**الصحافة الإصلاحية**: هي الصحف التي كانت تنتج الافكار والاراء التي تدافع عن الجزائر والجزائريين وتطالب بالاصلاحات العميقة في تفكير ومعتقدات الجزائريين ومحاولة تخليصهم من التفكير الخرافي والاسطوري الذي تريد بعض الزوايا الطرقية المدعومة من الاحتلال ترسيخه كثقافة ، واقترنت الصحافة الاصلاحية بصحف جمعية العلماء المسلمين وشيوخها المتنورين بالثقافة العلمية في فهم الدين.

د.**الصحافة الإستقلالية**: هي تتويج لصحافة المقاومة القلمية والسياسية والصحافة الإصلاحية ، بحيث جهرت بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وبناء دولته ذات السيادة ، فطالب روادها باستقلال الجزائر والجزائريين عن الاحتلال الفرنسي ودحضت أكاذيب فرنسا الاستيطانية ونجحت في إنتاج وعي تحرري وطني وإبطال مقولة "الجزائر فرنسية مقابل تجسيد وترسيخ عقيدة "الجزائر جزائرية".

هـ.**النخبة المثقفة الجزائرية**: النخبة تعني لغويا الصفوة من الناس أو أفراد المجتمع ، أما من الناحية الاصطلاحية فتعني بأنها "فئة من الفئات المتميزة في المجتمع سواء وظيفيا أو فكريا أو تعليميا مما يؤهلها للقيام بدور قيادي أو بأدوار المسؤولية في المجتمع ، وهي أكثر فئات المجتمع تأثيرا في الحياة العامة وقدرة على صناعة واتخاذ القرار".[10] ونقصد بالنخبة المثقفة في هذه الدراسة جميع المثقفين الجزائريين بمختلف منابعهم الفكرية واتجاهاتهم السياسية الذين حازوا نصيبا من الثقافة والعلم والوعي التحرري ، والذين رافعوا بأفكارهم ودافعوا بأقلامهم وجهروا بالحق عبر مختلف الفضاءات التعبيرية خاصة من

خلال الصحف أمام سلطة الاحتلال الجائرة لإنتاج الوعي التحرري والمساهمة في تحرير البلاد والعباد من الاحتلال الفرنسي.

2-السياق التاريخي والثقافي لظهور وتطور الصحافة المكتوبة في الجزائر.

تفيد الكثير من الابحاث والدراسات حول التاريخ الثقافي في الجزائر أن الحياة الثقافية الجزائرية كانت مقبولة وتعتمد على التعليم الديني بالأساس وكانت الكتاتيب والزوايا ذات إسهام كبير في الحركية الثقافية والعلمية في الجزائر. قبل أن يهاجم الاستيطان الفرنسي هذه البنية الثقافية مستهدفا تنصير المجتمع واجتثاثه من اصوله المتجذرة في التفكير الجمعي. وحسب المؤرخ الفرنسي "بولار" فقد شرعت فرنسا في تنفيذ خطة طويلة المدى تهدف إلى تدمير المجتمع الإسلامي ، فنجحت في القضاء على المراكز الثقافية المزدهرة في الجزائر منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر كما أغلقت نحوا من ألف مدرسة ابتدائية وثانوية وعالية كانت موجودة في الجزائر قبل الغزو".[11] وعلى الرغم من بساطة الحياة الثقافية وتمحورها على التعليم الديني إلا أنها تحمل مؤشرات واضحة ودلالات على القابلية للتحول نحو الأحسن . "ويؤكد عبد القادر جغلول أنه كان من ثمار أزيد من 176 مؤسسة دينية تعليمية أن بلغت نسبة الجزائريين الذكور الذين يعرفون الكتابة والقراءة في وقت الغزو حوالي 40 بالمائة ، لكن الاحتلال الاستيطاني الذي فرضته فرنسا ابتداء من دخولها الجزائر عام 1830 ، جعل سياسة الفرنسة والتنصير على حساب التعليم الأصلي للأهالي ، بالإضافة إلى التواجد المكثف للمستوطنين الأوروبيين يحدث تراجعا حادا في المستوى التعليمي وخللا كبيرا على مستوى القيم والعادات العامة".[12] "ولقد تم تدعيم هذا التدخل الاستدماري في مجال التعليم بإجراءات تنص خاصة على

هدم الجهاز التربوي والديني بصورة مباشرة وتضييق اسسه المادية والاجتماعية وبالاستيلاء على الأملاك الوقفية الداعمة خاصة للمؤسسات التعليمية والدينية مع شن حملات تنصيري واسعة وبناء جهاز تعليمي بديل مفرنس للقلوب والعقول".[13] فقد أشاع دخول الفرنسيين في الأوساط العلمية والأدبية اضطرابا شديدا فهجر معظم الاساتذة الكبار مراكزهم ، وقدر عدد الطلاب قبل 1830 بمائة وخمسين ألف طالب ولم ينج من المدارس القديمة إلا بعض المدارس الصغيرة وحرمت أجيال من التعليم".[14]

وفي هذا الاتجاه كان مؤرخ الصحافة الجزائرية الزبير سيف الإسلام قد تساءل في مستهل كتابه "رواد الصحافة الجزائرية" كيف عرف الجزائريون فن الصحافة؟ وأجاب قائلا: "عرف الشعب الجزائري فن الصحافة بدخول الفرنسيين الذين بدأوا الغزو الفكري إلى جانب الغزو الاستعماري ولم يعر شعبنا هذا الفن أي اهتمام في بادئ الأمر".[15] بسبب "جهل الشعب لهذا الفن الصحفي، خاصة وأنه كان يكتب بلغة لا يفهمها إلا أشخاص يعدون على الأصابع وأن هذه الصحافة كانت تهتم بشؤون الغزاة من إدارة وجيش ومعمرين، علاوة على أنه سلاح يخدم مصالح الغازي الغشوم".[16]

إن الدراسات التي أجريت حتى اليوم تثبت أن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية لم تكن موجودة في الجزائر قبل 1830، كما أن الصحافة كظاهرة اجتماعية وسياسية في المجتمع الجزائري وعبر مختلف مراحل تطورها البنيوي والأسلوبي وفي علاقتها مع الجمهور تميزت بالضعف الهيكلي واللغوي خاصة في بدايتها.[17]

ولكن ومع مرور الايام وتغلغل الاستعمار في داخل البلاد وتحصنه في العاصمة، بدأت نخبة الأعيان المثقفين من ابناء الجزائر الاحتكاك بهذا الفن. خاصة وأنهم كانوا على ثقافة

عالية عند وصول الفرنسيين واحتلالهم للعاصمة".[18] وقد عرفت الخمسة عشر سنة الأولى للاحتلال الفرنسي وتيرة متسارعة في إصدار الصحف كوسيلة اتصال رأى فيها المحتل ضرورة للتواصل مع الأهالي وإطلاعهم على مختلف القرارات والقوانين وواصلت سلطة الاحتلال مساعيها لإنتاج آليات التلاعب بالعقول واهتدوا إلى آلية يتجاوزون من خلالها العقبة اللغوية لإقناع الجزائريين فأصدروا بعد سبعة عشر سنة جريدة المبشر 1847. وانطلاقا من هذا التاريخ وبواسطة هذه الجريدة ذات الاغراض الاستدمارية عرف الجزائريون الصحافة العربية وفن تحرير الصحف باللغة العربية بعدما عرفوه باللغة الفرنسية".[19]

إذن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية ، هي اكتشاف غربي ظهرت في أوربا ثم انتقلت إلى العالم العربي في بداية القرن الثامن عشر مع حملات الاحتلال المختلفة. التي قامت بها فرنسا إلى مصر أولا ثم إلى الجزائر ثانيا ، وأول جريدة ظهرت في الجزائر هي جريدة "بريد الجزائر" 1830 L'Estafette d'Alger باللغة الفرنسية تلتها العشرات من الصحف تهدف جميعها إلى التبشير بالإحتلال وتلميع أغراضه الاستيطانية. وقد شجعت فرنسا الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية سواء كانت صحافة رسمية أو صحافة المعمرين ، لأنها كانت تهدف من ذلك إلى القضاء على اللسان العربي في الجزائر وخلق طبقة من المثقفين بالفرنسية يؤمنون بحضارة الغرب ، وتأهيلهم للسيطرة على الشعب الجزائري عن طريق الصحافة والاحزاب والتمثيل النيابي".[20] ولكن ونظرا لكون تلك الصحف لم تحظ بالقبول والاهتمام بسبب لغتها الدخيلة ، فقد اهتدى المستدمر الفرنسي عبر حاكمه العام لويس فيليب إلى إصدار أول جريدة باللغة العربية الركيكة وهي جريدة

المبشر 1847 "التي عرف من خلالها الجزائريون فن الصحف تحريرا وترجمة وقراءة".[21] وسلط الاحتلال كل أنواع الاضطهاد والقمع على الشعب الجزائري، حتى أن بعض الفرنسيين أبدوا تعاطفهم مع الجزائريين ، حيث حاولوا أن يمدوا يد الإعانة إلى المسلمين ورأوا أنه من الضروري السماح لهم بالكلام حتى يتسنى لهم التعبير عن شعورهم وعن مطالبهم وأحسن وسيلة لذلك هي الصحافة وهي الصحافة التي سميت بصحافة أحباب الأهالي وفشلت هذه الصحف في الصدور بصفة دائمة أو لمدة طويلة وذلك لاعتبارات كثيرة منها : "عدم تغير الوضع القمعي الذي فرضه الإحتلال، انهيار المستوى الاقتصادي والاجتماعي للجزائريين وانتشار الجهل والأمية وانهيار المستوى الثقافي".[22] وتجسدت أهمية الإعلام سواء في مرحلة ما قبل الثورة أو ما بعدها أو خلالها ، توليدها بذور المقاومة الثقافية والإعلامية التي تدحض الأكاذيب والصناعات الدعائية للمحتل الفرنسي.

3-عروض تصنيفية لأهم مراحل تطور الصحافة المكتوبة في الجزائر:

يتطلب فهم ومعرفة التطور التاريخي للصحافة المكتوبة الإلمام بمختلف الكتابات العلمية الأكاديمية والإعلامية المهنية وبالتالي الإطلاع على المصادر والمراجع التاريخية وروافدها من المقالات العلمية والصحفية سواء الصادرة في الجزائر أو خارجها وسواء كتبها الجزائريون أو الأجانب. للعلم فقد تعددت وتنوعت الكتابات والرؤى لظهور وتطور الصحافة المكتوبة في الجزائر، وتعددت أيضا التصورات للادوار التي تحملتها الصحافة المكتوبة في الجزائر عبر مختلف مراحل بناء الدولة الجزائرية.

وقد أورد البروفيسور فضيل دليو[23] في كتابه الشامل حول تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة عدة عروض تصنيفية لكبار رواد الباحثين في تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر، كالتصنيف التاريخي لشاعر الثورة مفدي زكريا(♦) لكن هذا التصنيف لم يبرز محطة البدايات الأولى للنشاط الصحافي الجزائري خلال سنوات 1893...وكذا التطور النوعي في الصحافة الفرنسية في الجزائر في فترة 1870 و 1881.[24] إضافة إلى تصنيف الباحث والمؤرخ زهير إحدادن(♦) لتطور الصحافة المكتوبة في الجزائر وقد ابدى فضيل دليو على هذا التصنيف مجموعة من الملاحظات أهمها "أن هذا التصنيف لا يأخذ بعين الإعتبار صحافة ما قبل 1848 ولا يتضمن الصحافة الفرنسية غير الحكومية أي التابعة للمستوطنين والتي لا تنتمي لأحباب الأهالي"، وثانيا أنه فصل بين "الأهلي" و "الوطني" فحصر صفة الوطنية في الصحافة الإستقلالية. ويرى دليو أن إطلاق صفة الصحافة السياسية أدق توصيفا من الصحافة الوطنية. لأن الصحافة الأهلية قامت بأدوار وطنية مقاومة وتوعوية داخل الجزائر ولولاها لما توفرت للصحافة الوطنية الأرضية الحاضنة لها".[25]

كما أورد فضيل دليو تصنيف تاريخي لشيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله(♦) هذا التصنيف استبعد الفترة السابقة لظهور الصحافة الجزائرية 1890 – 1893 إضافة إلى الصحافة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1893. ولم يأخذ بعين الإعتبار التطورات النوعية التي ميزت مرحلة ما بعد الإستقلال.[26]

أما التصنيف الأخير فهو تاريخي للزبير سيف الإسلام(♦) ويلاحظ على هذا التصنيف توقفه عند بدايات النشاط الصحافي الجزائري وربط التطور الإعلامي بالتطور السياسي والتحول في منظومة الحكم الفرنسية.

وفي الأخير وبعد استعراض لأهم الجهود العلمية للتأريخ لتطور الصحافة المكتوبة في الجزائر يهتدي فضيل دليو إلى إقرار تصنيفين مختلفين واحد نوعي وآخر تاريخي.(27)

1-تصنيف ثنائي حسب طبيعة الصحف: صحافة فرنسية صادرة في الجزائر وصحافة جزائرية. صحافة الإحتلال بقطبيها الإقصائي والإدماجي. الصحافة الجزائرية بثالوثها الإدماجي الإصلاحي والسياسي.

2-تصنيف تاريخي يعكس طبيعة التطورات الحاصلة في المجال السياسي وانعكاساتها على النظام الإعلامي وباقي الأحداث التي تأثرت بها الجزائر.(28)

1-صحافة فرنسية خاضعة للسلطات الرسمية: 1830 – 1870.

2-فترة حرية الصحافة الفرنسية وظهور صحافة أحباب الأهالي: 1870 -1892.

3-نشاة الصحافة الجزائرية وبداية المقاومة القلمية: 1893 – 1918.

4-مرحلة إنتشار الصحافة الإصلاحية والسياسية: 1919 – 1954.

5-صحافة فترة الثورة التحريرية: 1954 – 1962.

يمكن القول أن هذا التصنيف يعتبر الأشمل والأكثر دقة وتفصيلا لأنه يعتمد على مقاربة تاريخية وسياسية وعلى منهجية علمية متكاملة. على الرغم من ضرورة الإقرار بالصعوبة المنهجية في إعتماد تصنيف واحد ونهائي لأن كل العروض التصنيفية تركز إما على جانب من الجوانب كاللغة مثلا أو التطورات السياسية..، أو تركز على فترة زمنية معينة ، أو

على نوع معين من الصحافة كصحافة الإحتلال أو الصحافة الأهلية أو الصحافة الإصلاحية..إلخ. ولا يفوتنا في هذا المقام الاشارة إلى أنه ظهرت عدة جهود لبناء تصورات علمية لعروض تصنيفية للصحافة المكتوبة خلال فترة الاستقلال وتناولت جهود الباحثين الجوانب التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية للصحافة المكتوبة في الجزائر.

4-الصحافة المكتوبة في الجزائر..من صحافة الاحتلال الفرنسي إلى الصحافة الاستقلالية

بالاستناد إلى العروض التصنيفية سالفة الذكر سنرصد باختصار لمختلف مراحل تحول الصحافة المكتوبة في الجزائر بداية من صحافة الاحتلال وميلاد صحافة أحباب الأهالي مرورا بميلاد الصحافة الجزائرية إدارة وتحريرا وتمويلا وصولا إلى صحافة المقاومة القلمية والصحافة الإصلاحية والسياسية فالاستقلالية.

1-مرحلة ظهور صحافة الإحتلال الفرنسي في الجزائر 1830 – 1893.

اعتمد الاحتلال الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر وإنزاله العسكري في 14 جوان 1830 على سلاح الإعلام لإسناد حملاته الدعائية للمشروع الإستدماري الاستيطاني باعتباره مشروعا حضاريا ، ولقد أيقنت فرنسا أن تمرير هذا المشروع يجب يكون عبر تحالف سلطة مؤسسات التربية والتعليم والإعلام والمؤسسات الدينية. "ولقد تم تدعيم هذا التدخل الإستدماري في مجال التعليم بإجراءات تنص خاصة على هدم الجهاز التربوي والديني بصورة مباشرة وتضييق أسسه المادية والاجتماعية ، وبالاستيلاء على الأملاك الوقفية الداعمة خاصة للمؤسسات التعليمية والدينية، مع شن حملات تنصيرية

واسعة وبناء جهاز تعليمي بديل مفرنس للعقول والقلوب".[29] وحسب فضيل دليو أنه يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مرحلتين أساسيتين وهما: مرحلة صحافة التأييد المطلق للاحتلال والتي تمتد من 1830 إلى 1870. ومرحلة حرية الصحافة الفرنسية وظهور صحافة أحباب الأهالي 1870 إلى 1893.

1-1 صحافة الاحتلال الفرنسي 1830 – 1870 :

تجمع الدراسات والبحوث التي أجريت حول تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر أن الصحف التي ظهرت خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870 والتي أصدرتها فرنسا بشكل مباشر أو غير مباشر تميزت بتأييدها المطلق لسلطات الاحتلال ولحكوماتها المتعاقبة. ومن بين أهم صحف هذه المرحلة. صحيفة **بريد الجزائر L'estafette d'Alger** صدر عدد الأول بتاريخ 01 جويلية 1830 تزامنا مع الإنزال العسكري للمحتل الذي جلب معه مطبعة لنفس الغرض، وقد كانت الجريدة ذات أهداف تاريخية وسياسية وعسكرية أتبعها المحتل الصحيفة الأسبوعية **المرشد الجزائري Le Moniteur Algerien** يوم 27 جانفي 1832. عملت على تشويش الرأي العام الجزائري في فترة المقاومة الوطنية الأولى ، برفع قيمة الخونة وتمجيد أعمال المحتل وتشويه بطولات المقاومين والتفرقة بين القبائل والعروش والإعلان عن احتلال المدن قبل سقوطها الفعلي وتشجيع على الإستيطان الأوروبي في الجزائر". وبعد حوالي ربع قرن من الاحتلال ، أي منذ سنة 1843 تم توسيع دائرة الاحتلال عسكريا وإعلاميا ، فعمد المحتل الفرنسي إلى دعم تغلغله العسكري في الشرق والغرب إلى تدعيم هذا الاستيطان إعلاميا، وبعدها انتهج المستدمر الفرنسي أسلوب الزحف والانتشار الإعلامي في

الشرق[30] والغرب[31] مع تكثيفه في العاصمة والوسط[32] كمركز للانطلاق في في بناء خططه التوسعية، مستهدفا بدعايته المغرضة وقهره السيكولوجي أكبر عدد من السكان، وكانت هناك إصدارات متعددة ومتنوعة للكثير من الصحف واقترن استمرارها باستمرار ولائها المطلق للاحتلال الاستيطاني الفرنسي.

وفي الأخير يجدر التذكير بأن هذه الصحف يمكن اعتبارها فاشلة بالنظر إلى محدودية مقروئيتها لأسباب وعوامل سياسية ولغوية، وكان سحبها متواضعا لمحدودية عدد المستوطنين وعدم إقبال الجزائريين عليها لوعيهم بدعمها لمشاريع الإحتلال ، علاوة على ضعف إمكانياتها وأطقم تحريرها سواء المدنيين أو العسكريين وبعدهم عن التخصص. لكن مكنت هذه الصحف الجزائريين من معرفة الصحافة ووعي أهميتها ومكنت بعض الشباب المتعلم الذي سيتمكن فيما بعد من إنشاء صحف جزائرية إدارة وتحريرا.[33]

2-العصر الذهبي للصحافة الفرنسية وظهور صحافة أحباب الأهالي 1870 – 1893.

تمثل هذه المرحلة بداية التأسيس للجمهورية الثالثة في فرنسا إبتداء من سنة 1870 وبالتالي التحول للنهج الليبرالي، ومن الطبيعي أن تتأثر الصحافة بهذا التوجه الجديد ويعتبر الكثير من الباحثين أن هذه المرحلة تمثل بداية للعصر الذهبي للصحافة الفرنسية مع فتح متنفس للصحافة في الجزائر لكن هذا لم يمنع من استمرار سياسات التهديد والوعيد والترغيب والترهيب للصحافة الجزائرية وروادها ، غير أن الجديد هو ظهور صحافة أحباب الأهالي التي أبدت نوع من التعاطف مع الأهالي وتبني الدفاع عن بعض الحقوق الاساسية للمواطنين الجزائريين. وربما هذا كمنطلق براجماتي بحثا عن التعايش والأمان بين المحتل

والأهالي. كما تأثرت الممارسة الإعلامية في هذه المرحلة بصدور قانون الأهالي 1880 وصدور قانون وزير العدل الفرنسي ذي الأصول اليهودية كريميو 24 أكتوبر 1870 والذي منح الجنسية الفرنسية لليهود ، وهو ما زاد من حدة الصراع بين المستوطنين والأهالي. وأصدرت فرنسا تزامنا مع إقرار التوجه الليبيرالي قانون حرية الصحافة سنة 1881 وقد "ساهم في اشتداد المواجهة السياسية الإعلامية بين المستوطنين المطالبين ببعض الحقوق للجزائريين لفرنستهم وإدماجهم والمستوطنين المتطرفين الداعين لإقصائهم وقمعهم عاكسين بذلك النقاش السياسي الذي كان سائدا في الجزائر وباريس واشتد قبيل المعارك الإنتخابية".(34)

وقد عرفت الممارسة الإعلامية حركية ونشاطا غير مسبوق في هذه المرحلة ودعمته وكالة هافاس للأنباء بحيث فتحت هذه الوكالة مكتبا لها في الجزائر العاصمة سنة 1880 لتزود معظم الصحف بالبرقيات فظهر في العشرية الأولى فقط من حياة الجمهورية الثالثة 1871 – 1881 في عمالة قسنطينة 31 عنوانا جديدا معظمها لم يعمر طويلا 14 في مدينة قسنطينة ، 07 في سكيكدة ، 05 في عنابة ، 03 في سطيف ، 01 بجاية ، 01 سوق اهراس. وفي العشرية الموالية 1881 – 1891 ظهرت 89 صحيفة بينما لم يتجاوز عدد الصحف في عمالة العاصمة 15 جريدة وعمالة وهران 16 نشرية 1886.(35)

ويذهب الزبير سيف الإسلام إلى أنه خلال الفترة الممتدة 1848 إلى 1891 ظهرت 123 جريدة في القطر الجزائري من بينها 83 جريدة في عمالة قسنطينة. كما ظهرت خلال هذه الفترة صحف الراديكاليين والإنتهازيين ، ومحاولات للصحافة الرياضية

والساخرة والمحافظة الدينية والانتخابية والمناسباتية و المسيحية التي كانت تركز على الفترة التاريخية المسيحية التي مرت بها شمال افريقيا وتعمل على جمع التبرعات لبناء الكنائس وتنصير المسلمين. وقد ظهرت الصحافة الإدماجية أو صحافة أحباب الأهالي قصد التصدي للنهضة الإسلامية الوافدة من المشرق ، والتي كانت تخترق التراب الجزائري وتتغلغل في العقلية الجزائرية في وقت عجزت السلطات الكولونيالية في منع الصحف المشرقية الحاملة لهذه النهضة.

3-نشأة الصحافة الجزائرية وبداية المقاومة القلمية 1893 – 1918.

صحافة المقاومة القلمية هي تلك الصحف التي بادر إلى إنشائها المثقفين الجزائريين إدارة وتحريرا والمتبنية لمنهج التصدي الثقافي فكريا وعلميا ودينيا للمشروع الاستدماري، والمستقطبة لكتابات النخبة المثقفة ذات النزعة التحررية من الاحتلال الفرنسي. وقد أدركت فرنسا حجم أهمية الصحافة الثقافية في تحرير العقول ونشر الفكر التحرري الوطني، فلم تسمح بنشر أفكار المثقفين الجزائريين. ويذهب مؤرخ الصحافة الجزائرية الزبير سيف الاسلام إلى التأكيد أنه "منذ أن ظهرت الصحافة وفن الصحافة في ديار الجزائريين عام 1830 إلى 1852 لم يظهر إسم صحفي جزائري أو كاتب جزائري أو مترجم جزائري على صفحات الجرائد العديدة التي انتشرت في كل مدينة من وهران إلى عنابة رغم احتكاك المجتمع الجزائري بهذا الفن منذ 22 سنة".[36]

وقد ساهمت مجموعة من العوامل في ظهور صحافة المقاومة القلمية ، كصدور قانون الأهالي1881 والشروع في تطبيقه 28 جوان 1881 وهو قانون عنصري يؤسس للتمييز والتفرقة بين الإحتلال والمستوطنين والأهالي.[37] وصدور صدور قانون الإعلام أو

قانون حرية الصحافة 1881 والذي فتح المجال نوعا للصحافة الفرنسية لتمرير بعض النقد لبعض الممارسات للاحتلال الفرنسي، كما شكل متنفسا للنخبة المثقفة خاصة بعد مراكمة الخبرة في الصحف الفرنسية وصحف أحباب الأهالي. كما ساهمت زيارة بعض الوفود البرلمانية الفرنسية إلى الجزائر وتعاطفهم مع بعض مطالب الأهالي في تحفيز بعض النخب للانخراط في العمل الاعلامي النضالي والمقاوم. ويرى البعض أن زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر 1903 والتقائه ببعض العلماء كانت نقطة تحول في تبني النهضة الفكرية والثقافية كعامل تصدي للاحتلال الفرنسي.

وبالرغم من أن معظم صحف الأهالي كان ضعيف اللغة وكثير الأخطاء –إلى أن ظهرت صحافة جمعية العلماء– فإن النشاط الفردي المقاوم لأصحابها مثل بوضربة ، الحاج عمار ، الصادق دندن ، عمر بن قدور[38] عمر راسم[39]، والأمير خالد.. كان له دور كبير في بعث صحافة الأهالي قبل الحرب العالمية الأولى وفي التحول الذي عرفته صحافتهم لاحقا. وقد عمل معظمها في الدفاع عن حقوق الجزائريين الثقافية والاجتماعية دون التشكيك علنا في فرنسية الجزائر، لأنه كان شرطا أساسيا للسماح بصدور مختلف الصحف.[40]

4–مرحلة انتشار الصحافة الإصلاحية والسياسية 1919 – 1954.

أدت المراحل السابقة للصحافة في الجزائر أدوارا كبيرة في ظهور صحافة جزائرية مقاومة سياسيا وثقافيا وبلهجة اشد وأكثر صراحة من سابقاتها، ويمكن تقسيمها إلى صحافة فردية وصحافة جمعوية. وكان فشل مؤتمر باريس 1936 دورا ايجابيا على الصحافة بحيث

التحقت النخب الاندماجية بالمطالبة بالجمهورية الجزائرية التي انكرت وجودها في السابق بسبب اليأس من الاحتلال ومن وعوده الإدماجية الزائفة.

ويرى فضيل دليو أن إطلاق تسمية مرحلة المقاومة السياسية على صحافة هذه المرحلة لا يعفيها من مهامها الاصلاحية التي اضطلعت بها "فالمقاومة الاصلاحية كانت ملازمة لها بحيث كان من أهم خصائصها تشديد اللهجة الاعلامية للصحافة الاصلاحية وتكثيف النشاط السياسي عبر تأسيس حزب الشعب خلفا لحزب نجم شمال افريقيا 1937. كما كانت الصحف السياسية متنوعة الانتماءات (اندماجية، شيوعية، إصلاحية وطنية) وتغلب عليها اللغة الفرنسية وذلك بخلاف الاصلاحية التي كانت تغلب عليها اللغة العربية".[41]

وتشير بعض الدراسات إلى تمكن "الصحافة الأهلية في هذه المرحلة من بناء بعض نقاط قوتها، رغم أن بعض الجمعيات والهيئات المختلفة كانت ترى في الوجود الفرنسي ضرورة حتمية".[42] لكن مجموعة من العوامل المؤثرة في الاحداث داخليا وخارجيا غيرت شيئا فشيئا من هذه النظرة التقديسية للمستدمر الفرنسي وكان لأحداث 08 ماي 1945 تأثيرها العميق في تفكير المجتمع الجزائري وقيادات الحركة الوطنية وبعض النخب الاعلامية، فتبلور تفكير جدي في ضرورة مجابهة الاحتلال لانتزاع الاستقلال.

5-الصحافة والنخبة المثقفة الجزائرية خلال فترة الاحتلال.. المقاومة القلمية والسياسية في مواجهة الترسانة الإعلامية والحربية الفرنسية.

تقول الروائية أحلام مستغانمي "إذا أنت أشهرت سلاحا فأنت جندي في معركة ، أما إذا أنت أشهرت قلما فأنت جيش في معركة". وكان الفيلسوف الفرنسي الذي ناصر في

بعض مواقفه القضية الجزائرية جون بول سارتر قد أكد بأن للصحافة القدرة الكبيرة والهائلة على تثقيف وتوعية وتنوير الشعب". وبالتالي لم يكن غريبا أن تستقطب الصحافة كبار الفلاسفة والمفكرين والعلماء بمختلف تخصصاتهم وحقولهم المعرفية ، لنشر أفكارهم وآرائهم ونتائج دراساتهم وبحوثهم ومقترحاتهم عبر صفحاتها للنهوض بالقيم الإنسانية اللازمنية كالحرية والعدالة والحق والكرامة الإنسانية".[43] وتجدر الإشارة هنا إلى العلاقة الجدلية بين المثقفين عامة والصحافة المكتوبة ، وتطور علاقات التأثر والتأثير بينهما وامتداداتها للفضاء الاجتماعي والتشابك مع السياق الثقافي وتداعياتها على العلاقات الاجتماعية ومستوى الوعي العام. فمن الطبيعي أن يبحث المثقف الحقيقي وتحت سطوة ضميره أو "وجدانه المعذب" على حد تأكيد جون بول سارتر عن الفضاء الثقافي المستوعب لخطابه النقدي سواء العلمي أو الفكري أو القيمي أو السياسي أو التربوي أو النضالي التحرري..إلخ. فلجأ الكثير من المثقفين والشخصيات السياسية الفاعلة إلى إنشاء صحف خاصة بهم كمنابر تعبيرية وفضاءات ثقافية لنشر أفكارهم والدفاع عن مواقفهم في نصرة القضايا العادلة للشعوب والأوطان".[44] وقد بادر العديد من المفكرين والعلماء والأدباء والفلاسفة سواء في الدول الغربية أو العربية إلى إنشاء صحف بغرض النشر الثقافي وتفعيل النقد الفكري ، وكانت العديد من الصحف في الكثير من دول العالم فضاءات ثقافية لتفعيل النقاش الحر حول مختلف القضايا الفلسفية والفكرية والسياسية التي تطبع كل مرحلة. "فلا وجود لمثقف كبير دون صحيفة".[45]

أما في الجزائر فطبيعة العلاقة الجدلية بين المثقفين والصحافة هي علاقة جدلية من نوع خاص تقترن ليس فقط بالبحث عن هوامش الحرية الصحفية في التعبير والكتابة لكن

تمتد لتحمل هموم الشعب والوطن، أي تحرير البلاد والعباد من الاحتلال الاستيطاني الفرنسي الذي يريد استئصال البلاد والعباد.

ورغم عدم التوازن في الإمكانيات والوسائل الإعلامية والحربية ، فالشعب الجزائري الأعزل وجد نفسه في مواجهة قوة وجبروت الدولة الفرنسية كواحدة من القوى الدولية العظمى المدعومة بالحلف الأطلسي وكانت آلية النشر الثقافي والفكري والعلمي لمقالات بعض المثقفين الجزائريين في مختلف الصحف خاصة صحافة المقاومة القلمية والسياسية والصحف الإصلاحية من أهم آليات فك الحصار على الفعل الثقافي وتوسيع قاعدته الجماهيرية لتتوسع أعداد المنتفعين بالثقافة والعلم والفكر والأدب وبالتالي اتساع دوائر الوعي السياسي والثقافي لدى الكثير من الفئات الشعبية لاكتساب الوعي التحرري. إن الأدوار الثقافية الفكرية والعلمية والمعرفية التي اضطلعت بها الصحافة المكتوبة الجزائرية خلال الحقبة الإستدمارية وعبر مساهمتها في توفير فضاءات تعبيرية للنشر الثقافي الفكري والعلمي والمعرفي لمختلف النخب المثقفة العلمية والدينية والسياسية الجزائرية. ورغم أنها لم تكن متطورة في بنيتها المادية ولم تكن تمتلك الامكانيات اللوجيستيكية الضرورية للتطوير الذاتي ورغم هوامش الحرية المحاصرة إلا أنها حاولت أن تساهم ولو بالشيئ اليسير في الإنخراط الجاد في مسار بلورة الأفكار المنتجة للوعي التحرري ضد الاستدمار الفرنسي".[46]

وفي ظل الفضاء الثقافي السابق لمرحلة الإستدمار من الطبيعي أن تستنبت بذور جيدة للمقاومة الثقافية التي كانت المقاومة القلمية[47] والصحف من أهم نقاط القوة فيها. فمنذ الفترة الإستعمارية كان للصحف الثقافية الفكرية والأدبية الأدوار البارزة في

إستكتاب المثقفين بمختلف فئاتهم وتخصصاتهم العلمية والفكرية والأدبية والسياسية وتوحيدهم على هدف واحد وهو مناهضة الإستعمار عبر سلاح إعتبره نابليون بونابرت أكثر وقعا من دوي المدافع ألا وهو "القرطاس والقلم".[48]

"والصحافة الجزائرية لم تكن صحافة متخصصة ، بل صحافة أجبرتها الظروف القائمة عند إنشائها على دخول معترك المقاومة الفكرية والسياسية الذي ليس له من فاصل يفصله عن ثقافة الاستدمار الفرنسي إلا فيصل إسلامي أو غير إسلامي ، عربي وغير عربي ، مما جعل الصحف المكتوبة باللغة العربية تتخندق في خندق الدفاع عن اللغة والثقافة والقضايا الجزائرية ، وهذا ما جعل المحتل الفرنسي يشدد عليها الخناق ويطاردها بالمصادرة والتوقيف باعتبارها تشكل خطرا على وجوده في الجزائر وهذا ما تؤكده مواقف شيوخ جمعية العلماء في شخص الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي حدد معالم الهوية والشخصية الجزائرية في نشيده ‘‘شعب الجزائر مسلم’’، فالعمل الثقافي بالنسبة للصحافة الجزائرية هو عمل سياسي ولا يمكن فصلهما سواء في الصحف ذات التوجه السياسي أو تلك التي لها توجه جمعوي إصلاحي".[49]

إن المثقف الجزائري الذي كتب في الصحف هو إما أن يكون معلما مصلحا ومربيا وشاعرا ألقى بالأساليب الجمالية جانبا وجعل من قلمه سيفا حادا وجرسا قويا لإيقاظ شعبه وترشيده إلى طريق الخلاص بدل أن يبقى في برجه العاجي ، أو يسلك سلوك شعراء وأدباء المدرسة الرومانسية التي كانت سائدة وقتئذ من خلال مدارس أبولو والرابطة القلمية التي اعتنقها شعراء المهجر والمشارقة عموما لأن المثقف والشاعر الجزائري لم يكن له الوقت الكافي للغزل والتغني بالطبيعة ، بل كان همه هو تخليص وطنه من الاحتلال

الجاثم على أنفاسه الذي عمل على اقتلاعه من جذوره".[50] وقد إعتبر الشاعر والصحفي الكبير أبو اليقظان الصحافة بمثابة "مثقف للشعب" ويقول في مطلع إحدى قصائده:

إن الصحـافة للشعـوب حيـاة والشعب من غير اللسـان مــواة

الشعب تلميــذ وهـي مثقــف ومهـذب إذ تخـلص النيـــات

وتشير الأبحاث والدراسات التاريخية حول الصحافة الجزائرية أن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى (1919-1954) كانت مرحلة تحول نوعية في أداء الصحافة الجزائرية الفكري والثقافي والسياسي أو "مرحلة إنتشار الصحافة الإصلاحية والسياسية".[51] فقد شجع صدور قانون 19 فيفري 1919 أو "إصلاحات قانون جونار" المسلمين الجزائريين للمطالبة بحقوقهم طمعا في أن تعترف لهم فرنسا ببعض الفضل الذي قدموه لها إبان الحرب العالمية الأولى، فاتخذوا من الصحافة وسيلة لذلك".[52] هذه الاصلاحات فتحت نسبيا المجال أمام النخبة الجزائرية للتعبير عن مواقفها، إضافة إلى بعض الآثار الإيجابية للحرب العالمية الأولى التي زادت الجزائريين إطلاعا وتوعية بمجريات الأمور السياسية والنضال الوطني ، تشكيل بعض الأحزاب والجمعيات التي عملت على إصدار صحف خاصة بها تخدم مبادئها وتدعوا إليها، إضافة إلى تحسن مستوى التعليم ونوعيته خاصة بعد عودة الأفواج الأولى من خريجي المدارس والجامعات العربية والأزهر. كل هذه العوامل بالإضافة إلى الخبرات الإعلامية الجزائرية التي راكمتها سنوات الاحتلال منذ 1830 ، تضافرت لبعث صحافة جزائرية مقاومة ثقافيا وسياسيا وبلهجة أشد وأكثر صراحة من سابقاتها".[53]

ومن بين أهم رواد الصحافة الإصلاحية الأمير خالد(♦)الذي أنشأ صحيفة الإقدام 1919 ، التي تفرغ لها فيما بعد وأعطى كل جهوده لخدمة الفكرة الوطنية خطابة وصحافة. "وراحت الإقدام تعرب عن اتجاهها الوطني الواضح رافضة التجنس رفضا قاطعا ، مطالبة بتمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي ومقاومة نزعة المعمرين العنصرية الحاقدة. ومن هنا فإن جريدة الإقدام تعد أول جريدة عربية تصدر في الجزائر بمثل هذه الروح الوطنية الخالصة ، وبهذا الأسلوب القوي المتدفق وكانت إلى هذا الجانب السياسي الذي عرفت به تنشر المقالات التربوية والاجتماعية وتهتم بالانتاج الأدبي الجزائري شعرا ونثرا".(54)

ومن بين الجرائد التي استقطبت كتابات الكثير من الكتاب الجزائريين أسبوعية النجاح 1919-1956 والتي أسسها عبد الحفيظ بن الهاشمي ، وكان الشيخ عبد الحميد ابن باديس مساعدا في تأسيسها ، مشاركا في تحرير مقالاتها ولكنه ما لبث وأن تخلى عنها لخلاف حول نهجها الإصلاحي. كانت تحتوي على المقالات المتنوعة دينا واجتماعا وثقافة إلى جانب الخواطر والقطع الشعرية".(55) وشارك في تحريرها الشيخين " الأمين العمودي و عبد الحميد ابن باديس كما شارك في تحريرها بعض رجال الإصلاح كأحمد بن العابد الجيلالي ، المولود الصديق الحافظي الأزهري ، محمد السعيد الزاهري، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، محمد الصالح خبشاش ، محمد السعيد أبو يعلى الزواوي ، محمد العلمي ، العربي التبسي..وغيرهم. وعرف خطها الإفتتاحي خلال فترة تعميرها الطويلة عدة تحولات ، فبعد أن كانت تدافع عن العربية وقضايا الوطن في مرحلتها الأولى ، أصبحت تعادي الحركة الإصلاحية ، وتحرض على جمعية العلماء مع تغطيتها لجميع

نشاطات الإدارة الفرنسية التي تمولها وتعبيرها في الغالب عن مواقف الانتهازيين والعملاء والمؤيدين لوجود الاحتلال الفرنسي في الجزائر ولدعواته التصفوية لمعارضيه ولصحافتهم، وقد توقفت بأمر من قيادة جبهة التحرير الوطني عام 1956.(56)

وقد تميزت مرحلة 1925-1937 بنشاط إعلامي مكثف ونوعي وبجهود فردية للعديد من المصلحين وكذلك الصحف الجمعوية بالخصوص صحف جمعية العلماء المسلمين ، وصحف جمعية الوفاق . ومن بين أهم المصلحين الجزائريين عبد الحميد ابن باديس ، أبو اليقظان ، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الطيب العقبي بوكوشة ، الزاهري ، أحمد أبو شمال...وغيرهم.

وكان الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الحركة الإصلاحية والثقافية بامتياز ، فقد جاهد من خلال صحيفتيه "المنتقد 1925 ، الشهاب 1925-1939. وضمنهما مقالات تمتاز بالدفاع عن حقوق الجزائريين وهويتهم الحضارية ومكافحة السياسة التخديرية لبعض الزوايا المشيعة للبدع والخرافات، ويرى البعض أن لصحافة العلامة عبد الحميد ابن باديس الفضل في التأريخ للنهضة الفكرية الحديثة في الجزائر وفي المساهمة في تأصيلها وبعثها".(57) وكانت صحيفة "المنتقد" بحق لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري، فهي تعد الجريدة العربية الجزائرية الأولى التي جمعت الأقلام الاصلاحية المتمثلة في الشباب العربي المثقف العائد من جامع الزيتونة والأزهر ومعاهد الشام والحجاز بعد الحرب وكان هدفهم واحدا يوجزه شعار الجريدة "الوطن قبل كل شيئ" وخطتهم مشتركة وهي "الإصلاح الداخلي أولا في سبيل إصلاح كل شيئ". ومن هنا اتجهت جريدة المنتقد إلى الإصلاح الديني توليه عناية فائقة وتدحض أساطير الطرقيين المنطلقة

من شعار "إعتقد ولا تنتقد" وقاومت أفكار الفرنسة والتغريب. ويخلص محمد ناصر إلى التأكيد أن جريدة المنتقد تعتبر تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر لأنها تختلف كل الاختلاف عن الصحف التي سبقتها سلاسة أسلوب ، ومتانة لغة ، وعمق أفكار..فهي بأعدادها الثمانية عشر كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا".(58)

ولم يستسلم الشيخ عبد الحميد ابن باديس لمكر سلطات الاحتلال الفرنسي ، فبعد تعطيل "المنتقد" أصدر جريدة "الشهاب" 1925 – 1939 وتوحلت فيما بعد إلى مجلة ثقافية راقية تؤرخ للحركة الفكرية الجزائرية على نهج سابقتها "المنتقد" مع اصطناع نوع من المرونة في تحريرها". وضمنها مجموعة من الأركان التوعوية والتنويرية والفضاءات التعبيرية والمناظرات لمختلف النخب المثقفة مع الإنفتاح على العالم وإطلاع الجزائريين على ثمار العقول عبر رصد كل ما يستجد في ميدان الإنتاج الفكري ، وبالتالي يعود الفضل "للشهاب" في بعث الثقافة العربية الأصيلة في الجزائر وحماية مقوماتها، كما تعتبر من اهم المراجع التي تؤرخ للنهضة الفكرية الحديثة في الجزائر ما بين الحربين العالميتين".(59)

وأسس محمد السعيد الزاهري صحيفتي "الجزائر 1925 ، "البرق 1927 " تميز شعارها بالجرأة غير المعهودة "الجزائر للجزائريين". وتبنت النهج الإصلاحي على خطى صحيفة "الإقدام" للأمير خالد وصحف رائد النهضة الجزائرية عبد الحميد ابن باديس، الذي علق آمالا كبيرة على صحيفة "الجزائر" لنزعتها الوطنية قائلا فيها "أنها جريدة سياسية أدبية دينية أخلاقية إجتماعية ، بها مقالات بليغة ، في متانة تعبير ، وسمو فكر ، ونبالة مقصد".(60) وجاءت صحيفة البرق لتخلف صحيفة الجزائر التي منعت من الطبع بعد العدد الثالث والعشرون ، "وقد نجحت "البرق" في تكوين مجموعة من الكتاب البارعين

المعروفين بنزعتهم الاصلاحية المتحمسة واسلوبهم الناري ، على رأسهم محمد السعيد الزاهري ، محمد الأمين العمودي ، الشيخان مبارك الميلي ، والطيب العقبي ، والمولود الحافظي الأزهري الذي بدأ مصلحا وانتهى طرقيا". ويؤكد محمد ناصر ان "صحيفة البرق" تعد مجالا لا يستغنى عنه لدراسة الأدب الجزائري الحديث نثره وشعره ، بل إن الذين يدرسون الفكر الجزائري سياسة وتاريخا لا يمكنهم تجاوزها لأنها تؤرخ لمرحلة دقيقة من مراحل تاريخ النهضة الجزائرية".[61]

ومن الصحف الثقافية والمنتهجة لأسلوب المقاومة القلمية ، صحف الطيب العقبي ، وأحمد العقبي الإصلاحية 1927. كأسبوعية "صدى الصحراء" (1925-1926) التي تداول على تحريرها وإثرائها بالمادة الثقافية الفكرية والإصلاحية محمد الأمين العمودي ، الطيب العقبي ، محمد العيد آل خليفة ، أبو يعلى الزواوي ، أبو اليقظان ، مبارك الميلي ، محمد العزوري ، أحمد رضا حوحو، الطيب العقبي... تبنت قضايا الإصلاح الديني والاجتماعي وكان شعارها "درء المفسدة قبل جلب المصلحة ".[62] وكانت صدى الصحراء مجالا فسيحا لبعض الأقلام التي عرفت بالاندفاع والجرأة والثورة.. وكانت أغلب موادها تتكلم عن بداية النهضة الفكرية والأدبية والوطنية.. قبل أن تنحرف عن اتجاهها الإصلاحي وتعرف سياستها التحريرية بعض الاضطرابات التي افقدتها قيمتها الأدبية والفكرية".[63] كما أصدر الطيب العقبي بمساعدة محمد العيد آل خليفة "أسبوعية الإصلاح 1927، وتميز صدورها بالإضطراب بسبب الصعوبات المادية والإدارية".[64] لكن هذا لم يثن من إرادة الداعية الاصلاحي الكبير الطيب العقبي الذي كان متحمسا لتنوير وتهذيب الرأي العام الجزائري ، كما كان شديد الحماس للفكرة الاصلاحية والنهضة

الاجتماعية والثقافية. وكانت مقالات الشيخ العقبي وأفكاره مدعومة بمقالات مبارك الميلي ، محمد الأمين العمودي ، محمد السعيد الزاهري ، أحمد توفيق المدني ، إضافة إلى أشعار محمد العيد آل خليفة ومفدي زكريا وأبو اليقضان...إلخ. الذين كانوا يدعون إلى الأخذ بفكرة الإصلاح ومقاومة التخلف الفكري والجمود العقلي.(65)

كما بادر أبو اليقضان إلى تأسيس عدة صحف إصلاحية(66) خلال الفترة الممتدة بين 1926-1938 وكانت تدافع عن حقوق الجزائر وعن المغرب العربي وعن الإسلام والوحدة الوطنية والتصالح المذهبي بالإضافة إلى تشريحها للأمراض الإجتماعية".(67) وتعتبر صحيفة "وادي ميزاب" 1926 من أهم هذه الصحف ، وقد تحدث الظروف القاسية لتكون ليس فقط إمتدادا للصحافة الاصلاحية بنهجها المقاومة الثقافية والقلمية بل والأكثر من ذلك "تميزت وانفردت على باقي الصحف بحرارة اللهجة في مخاطبة السلطة الاستدمارية وصراحة مباشرة في معالجة الأمور ومواقف ثابتة في محاربة الظلم والاضطهاد وتعقب علني لكل مظاهر الانحراف".(68) وراحت صحيفة وادي ميزاب بأفكارها ومفكريها تسير ضمن خطة مرسومة بدقة وإحكام مستوحاة من واقع الأمة الجزائرية في بداية نهضتها ، فوجهت اهتماماتها الكلية إلى توجيه الجزائريين وتوعيتهم في جميع الميادين الحيوية ، اجتماعا واقتصادا وسياسة وثقافة ، وأشد ما كانت عنايتها ملحة وأكيدة هو بناء الشخصية الوطنية والتشبث بمقوماتها".(69) وأبانت اهتماما بالغا بالميدان التربوي والثقافي وتشجع على التعليم بل وربطت الوطنية بالتعليم كما شجعت أيضا على الانتاج الفكري ودعم كل المواهب في هذا الاتجاه فنضجت على صفحاتها أقلام شابة كثيرة على غرار شاعر الثورة مفدي زكريا ، بكير بن سليمان ، أحمد بن الحاج يحي ،

رمضان حمود ، محمد الهادي سنوسي ، عيسى بن عبد الله ، الكاملي بوراس عبد الله..إلى جانب الكتاب الذين تمرنوا على الكتابة كأمثال عمر بن قدور ، مبارك الميلي ، المولود الحافظي الأزهري..وغيرهم. ولم تنس في الميدان الثقافي أن تفيد قراءها ببعض المقالات ذات الطابع العلمي ، لا سيما في الموضوعات الفيزيائية ، والفلاحية والمخترعات ، وفي الميدان الاقتصادي : فتحت أعين الأهالي على النظريات الاقتصادية العالمية".[70] وقد واصل أبو اليقضان معاركه الفكرية والثقافية وجند عقله وقلمه لصناعة رسالة صحفية مستنيرة عبر مختلف الصحف التي أنشأها ليكتسب بحق لقب مجاهد الكلمة.

وأصدر محمد الأمين العمودي[71] وهو من الكتاب الذين يمتلكون ثقافة عالية وجرأة كبيرة في التعبير عن أفكاره وكان قلمه مسلطا على الظلم والتخلف ومن مؤسسي جمعية العلماء ، صحيفته "الدفاع la défense 1934-1939 من منفاه بأفلو ولاية الأغواط. وقد تعمد صاحبها إصدارها باللغة الفرنسية للدفاع عن حقوق ومصالح المسلمين وتعريف الأوساط المثقفة الفرنسية بأهداف الحركة الإصلاحية".[72]

وإذا كان بيير بورديو ينعت الأحزاب السياسية والجمعيات والاتحادات المهنية "بالمثقف الجماعي" فقد أبدت جمعية العلماء المسلمين (1933 – 1956) براعة فكرية وثقافية وحنكة سياسية كبيرة في المرافعة للاصلاح وتشكيل الوعي الوطني التحرري. وكانت صحفها الأشهر والأكثر تأثيرا في بلورة معالم الشخصية الجزائرية ، والمؤسسة للمناهضة الثقافية والفكرية للمحتل الفرنسي. ومن بين صحف جمعية العلماء المسلمين ، أسبوعية السنة المحمدية 1933 . توقفت وخلفتها "الشريعة النبوية المحمدية 1933 " . تلتها أسبوعية "الصراط السوي 1933-1934 ثم تلتها صحيفة "البصائر1935-1956

. وتعتبر أهم صحيفة جزائرية محضة عرفتها الجزائر المحتلة ، وتعاقب على رئاسة تحريرها وإثرائها بالمضامين الثقافية والفكرية ، الطيب العقبي ، مبارك الميلي ، البشير الإبراهيمي...وغيرهم. "ولقد كانت حامية اللغة العربية وناصرة الدين الإسلامي بلا منازع وقلعة أدبية بيانية راقية وذات مستوى أدبي ممتاز".[73] كما تعتبر جريدة البصائر من أهم العوامل التي ساعدت على تطوير الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر ، ففتحت المجال واسعا لأقلام المثقفين اللامعين من الكتاب والشعراء وكانت تخصص ركنا متميزا "للمباحث الأدبية والعلمية".[74]

ومن بين الكتاب الذين كانوا ينشرون فيها إنتاجهم الفكري والشعري باستمرار نذكر: الشيخ البشير الابراهيمي ببيانه المشرق ، ولغته العربية الراقية ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس بفكره المتنور والشيخ الطيب العقبي، فرحات الدراجي ، محمد خيرالدين ، أبو يعلى الزواوي ، وحمزة بوكوشة ، في فصوله عن الأدب وقضاياه في ركن شؤون وشجون ، وأحمد بن العابد الجيلالي بأسلوبه القصصي الجميل ، وعلي مرحوم ، وأبو مدين الشافعي ن ومن أبرز الشعراء وأجودهم محمد العيد آل خليفة...وهكذا سارت "البصائر" سيرا حثيثا ومنتظما وبلغت من الرقي والانتشار ما لم تبلغه أي جريدة عربية في الجزائر".[75]

ولا تزال جريدة البصائر مستمرة في الصدور ومحتفظة باتجاهها الإصلاحي المشخص لكل الأمراض الإجتماعية والمنتقدة للأوضاع السياسية ، ويتميز خطها التحريري بجرأة كبيرة في نقد السياسات العامة ، وهي فضاء مفتوح لكل الإسهامات العلمية والفكرية والأدبية الأصيلة المدافعة عن القيم المركزية للمجتمع ولا تزال قلعة متينة في التصدي لكل

محاولات طمس معالم الشخصية الجزائرية وبالخصوص بعض المناورات والمآمرات القديمة الجديدة المتربصة بالثوابت والقيم الوطنية والخلقية للمجتمع الجزائري.(76)

وفي نفس الاتجاه في نهج تبني المقاومة الثقافية المغذية للمقاومة السياسية ظهرت "صحافة المقاومة السياسية" التي أعقبت المرحلة الممتدة 1937-1954، ومن بينها أسبوعية "المغرب العربي 1937 أصدرها الأديب حمزة بكوشة وهو من مؤسسي جمعية العلماء. وكانت خطة الجريدة إصلاحية وطنية وتقاوم الفساد الإداري والاجتماعي".(77) وأصدر الأديب إسماعيل العربي مجلة "أفريقيا الشمالية 1946، وهي مجلة فكرية تجمع بين التيار الإصلاحي للعلماء والإتجاه الوطني لحزب إنتصار الحريات. إضافة إلى مجلة "العبقرية 1948 للأستاذ عبد الوهاب بن منصور. كما بادر الأديب محمد رضا حوحو إلى إنشاء "أسبوعية الشعلة 1949-1951، وكانت موالية للعلماء واتجاهها إصلاحي وطني ، وبالرغم من كونها أسبوعية فكرية عامة فقد شملت محتوياتها مهاجمة الطرقية والإحتلال وأنصار الإدارة الفرنسية ، وكان من كتابها "أحمد حماني، أحمد بوشمال، عبد الرحمان شيبان وموسى الأحمدي.(78)

ومن رواد الصحافة الجزائرية أيضا عمر بن قدور مؤسس أسبوعية الصديق ، الفاروق ، أبو بكر جابر الجزائري "جريدة اللواء 1952 . وخلفتها جريدة "القبس الأدبية 1952 . أدارها أبو القاسم ديقير ، وترأس تحريرها محمد الهادي السنوسي. وتعد جريدة الشباب المسلم le jeune musulman 1952-1954 . لسان حال شباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت رعاية الشيخ العربي التبسي ، وإدارة " عطاء الله سفاري ". "وكانت موجهة لأنصار الإصلاح المتعلمين بالفرنسية وللرأي العام الفرنسي وقد شارك

في تحرير موادها مثقفون جزائريون من مشارب فكرية وحساسيات سياسية مختلفة جمعت بينهم قضايا الإصلاح والعدالة والتحرر. وكان من أهم كتابها على التوالي : أحمد طالب الإبراهيمي ، علي مراد محمد الشريف ساحلي ، مالك بن نبي ، عمار أوزقان ، مصطفى الأشرف ، هاشمي التيجاني ، عبد العزيز خالدي ، أحمد شامي ، توفيق المدني (محرر إفتتاحية عددها الأول) ، العربي التبسي.. وبعد أكثر من نصف قرن عاودت الصدور تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين "لانارة طريق الشباب لكي يتعرفوا على القيم الحقيقية للمجتمع الجزائري وعلى الإرث العلمي العظيم الذي خدم به أسلافهم المسلمون الإنسانية ".[79]

ومن بين أبرز الصحف السياسية التي ظهرت في المرحلة التي سبقت الثورة التحريرية المباركة جريدة الشعب 1937 التي أصدرها حزب الشعب باللغة العربية وتكفل بإصدارها شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا ومحمد قنانش بالجزائر العاصمة. وقد استشعر الاحتلال الفرنسي خطر هذه الجريدة على مصالحه ، فسارع إلى الإطباق على العدد الثاني من الجريدة وهو ما يزال فوق آلات الطباعة". لكن وحسب تأكيد محمد ناصر فإن الأثر الذي تركته الشعب بعمرها القصير لم تتركه الجرائد الانتفاعية بعمرها الطويل".[80] ومن بين الصحف السياسية التي ظهرت باللغة العربية صحيفة "صوت الأحرار 1943-1945 ، أما باللغة الفرنسية فظهرت أيضا مجموعة من الصحف "يومية الجزائر" و "العمل الجزائري" 1941. وكان من أبرز كتابها وبنصوص أدبية مصطفى الأشرف. كما أصدر حزب إنتصار الحريات الديموقراطية ، البديل عن حزب الشعب مجموعة من الصحف بالفرنسية على غرار "دفاتر جزائرية " و"الأمة الجزائرية " في

باريس 1946-1948 .كبديل عن جريدة الشعب و "الجزائر الحرة 1948-1954. إضافة إلى أسبوعية المنار 1951-1954 وكانت تستقطب مشاركات ومساهمات قلمية من مختلف الاتجاهات وبالخصوص المناصرين لحزب الشعب.(81) وأصدر الحزب الشيوعي بالجزائر عقب إعلان إستقلاله التنظيمي عن الحزب الشيوعي الفرنسي في 1934 . صحيفتين بالفرنسية "أسبوعية الحرية 1943-1955. و"دفاتر الشيوعية ، والنشرية الشهرية غير المنتظمة "الجزائر الجديدة 1943-1947-1955). وكان فرحات عباس قد أنشأ جريدة "المساواة 1944 . ثم حولها بعد 1946 إلى "الجمهورية الجزائرية République Algérienne. كتعبير عن تغيير آرائه وقناعات حزبه الجديد(82)

لقد صدرت عشرات الجرائد في الجزائر من بداية القرن العشرين إلى الخمسينات منه ، استعرضنا منها بعض النماذج المقاومة ثقافيا ، وكانت معظم الجرائد التي تصدر بالعربية لا تعمر طويلا فتوقفها سلطة الاستعمار وكثيرا ما تصدر متقطعة. "وكل الصحافة التي صدرت قبل الحرب العالمية الأولى ومابين الحرب العالمية الأولى والثانية كانت تلتف حول موضوعات ذات طابع سياسي يقاوم من أجل الشخصية والهوية الجزائرية وسط ثقافات أوروبية متعددة تعمل كلها من أجل تكريس مقولة الجزائر فرنسية".(83)

ويخلص فضيل دليو إلى القول "لا يمكننا بهذا الصدد إلا الإشادة بالعمل الإعلامي العظيم المنجز من طرف الصحافة الجزائرية وخاصة العربية منها في ظل ضعف الوسائل المتاحة والعراقيل الإدارية القمعية حيث كانت تجدد إصداراتها وتتحايل شكلا ومضمونا على المحتل لتصل إلى المثقفين والميسورين منهم عبر قراءات مرفقة بتعليقات إلى الأميين

والفقراء ، لتشحذ هممهم وتعمق حسهم الوطني وانتمائهم الحضاري".[84] فالصحافة الجزائرية أدت دورا مهما من أجل الحفاظ على الهوية والتاريخ والخصائص الجزائرية منذ الاحتلال إلى الاستقلال وعملت على إبراز الثقافة الجزائرية التي استطاعت أن تفرض نفسها على المستويين العربي والدولي".[85]

خاتمة: يمكن التأكيد على مقولة جاك ليكرك "أنه لا وجود لمثقف كبير بدون صحيفة " فالملاحظ وخلال مختلف المراحل الانتقالية في تاريخ الدولة الجزائرية ، أن معظم المثقفين الجزائريين سواء مراحل ما قبل الحرب التحريرية أو خلال المرحلة التحريرية ، أو ما بعد الاستقلال انخرطوا بقوة في الكتابة في الصحف أو إنشاء صحف أو المشاركة في إنشاء صحف لنشر أفكارهم وبلورة تصوراتهم والدفاع عن مواقفهم المختلفة تجاه مختلف القضايا والمسائل الوطنية. فاستمر دفق مداد حبر النخبة المثقفة الجزائرية بكتابها وشعرائها وسياسييها ومصلحيها، لمسايرة نبض الحياة الثقافية والاجتماعية للجزائريين المليئة بالبؤس والظلم الاستدماري وتحدى المثقفون الجزائريون بذلك كل أشكال القهر السيكولوجي والتنكيل الفيزيولوجي والمصادرة الموضوعية للتفكير ولآليات الاشتغال على الفكر. فكانوا وبصحفهم مثل الشموع تحترق لتنير الجوانب المظلمة من حياة شعب يتم تجهيله وتجويعه ومحاولات استئصال ثقافته وشخصيته يوم بعد يوم. فكان صرير الأقلام فعلا أكبر وأخطر على الاحتلال الفرنسي من دوي المدافع وكان لبناء الحصانة الثقافية للشخصية الجزائرية أكبر عامل لقيام نهضة ثورت العقول والقلوب للوقوف صفا واحدا في وجه الاحتلال فكان وهج الأفكار الاصلاحية والنهضوية الوقود الحيوي لإشعال فتيل الثورة التحريرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954.

(1) حياة عمارة: **أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من التأسيس إلى عهد التعددية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2014/2013. ص 2.

(2) نايلي نفيسة: محاضرات في الصحافة المكتوبة في الجزائر، مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص صحافة وإعلام إلكتروني قسم العلوم الانسانية كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2015/2014. ص5.

(3) حياة عمارة: مرجع سبق ذكره، ص02.

(4) محمد منير حجاب: الموسوعة الاعلامية، ط1، مصر، دار الفجر، مجلد4، 2003. ص1489.

(5) **حياة عمارة: أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من التأسيس إلى عهد التعددية، مرجع سبق ذكره، ص2.**

(6) سورة الأعلى، الآية 18. 19.

(7) سورة البينة، الآية2.

(8) عبد العالي رزاقي: المهنة صحفي محترف قوانين الاعلام وأخلاقيات الصحافة في 22 دولة عربية، ط1،الجزائر، دار هومة، 2013. ص22.

(9) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الإعلامية ، ط1 ، القاهرة ، بيروت ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، 1985. ص124.

(10) حنان جنير: دور الاعلام في تكوين تصورات النخبة حول مفهوم الإرهاب ، مجلة البحوث الإعلامية ، ع 18 ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، 2002. ص440.

(11) عواطف عبد الرحمان: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة التحريرية ، ط1، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985. ص15.

(12) فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013 ، مرجع سبق ذكره. ص14.

(13) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص15.

(14)عواطف عبد الرحمان: مرجع سبق ذكره ، ص15.

([15]) الزبير سيف الاسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر رواد الصحافة الجزائرية، ط1، القاهرة، مطابع دار الشعب، 1981. ص09.

([16]) نفس المرجع، ص10.

([17]) **حياة عمارة: أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من التأسيس إلى عهد التعددية، مرجع سبق ذكره. ص..**

([18]) الزبير سيف الإسلام: مرجع سبق ذكره، 10.

([19]) نفس المرجع، ص11.

([20]) عواطف عبد الرحمان: مرجع سبق ذكره ، ص17.

([21]) الزبير سيف الاسلام: مرجع سبق ذكره، ص11.

([22]) **حياة عمارة: مرجع سبق ذكره،** ص

([23]) أ.د فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830- 2013، ط1، الجزائر، دار هومه، 2014. ص ص 17. 21.

([♦]) **تصنيف تاريخي لمفدي زكريا:** صحافة الإحتلال: 1830 – 1907، صحافة المقاومة القلمية: 1907 – 1923، صحافة جمعوية: 1923 – 1936، صحافة المقاومة السياسية: 1936 – 1954، صحافة فترة الثورة التحريرية: 1954 – 1960.

([24]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره ، ص17.

([♦]) يركز تصنيف الباحث والمؤرخ زهير إحدادن على أربع مراحل رئيسية في تطور الصحافة المكتوبة في الجزائر: الصحافة الحكومية 1848 – 1882، صحافة أحباب الأهالي 1882 – 1893، الصحافة الأهلية 1893 – 1919، الصحافة الوطنية (الإستقلالية) 1930.

([25]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص19.

([♦]) يقسم أبو القسم سعد الله مراحل تطور الصحافة المكتوبة في الجزائر إلى أربع مراحل: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى: 1890 – 1914، مرحلة ما بين الحربين: 1919 – 1939، مرحلة ما بين الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير: 1954 – 1962، مرحلة الإستقلال: 1962 إلى اليوم.

([26]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص20.

(♦) يبرز مؤرخ الصحافة المكتوبة في الجزائر ثلاثة مراحل أساسية لتطورها في الجزائر: مرحلة نشأة الصحافة الفرنسية في الجزائر المحتلة: 1830 – 1850. عهد الإمبراطورية الثانية: 1850 – 1870. عهد الجمهورية الثالثة: 1870 – 1900.

([27]) دليو فضيل: مرجع سبق ذكره، ص20.

([28]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص21.

([29]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص15.

([30]) ففي قسنطينة صدرت صحيفة قسنطينة 1848 ، وصحيفة نهضة قسنطينة 1851 ، صحيفة المستقل 1859 واستمرت إلى غاية 1909. وفي سطيف ظهرت صحيفة "صدى سطيف 1860 . وفي عنابة "سيبوس جريدة بونة 1843 أصبحت فيما بعد "السيبوس".

([31]) في وهران صحيفة "بريد وهران 1850، وصحيفة "صدى وهران" التي كانت يسارية حسب فضيل دليو. وفي مستغانم صدرت "بريد مستغانم 1863.

([32]) صدرت في الجزائر العاصمة صحف متعددة ومتنوعة كان أهمها: إضافة إلى صحيفة المبشر 1847 ، و "الأطلس" 1849 والتي كانت تنعت باليسارية وأوقفها الإحتلال رغم محاولات ظهورها بأسماء جديدة "كصدى الأطلس 1851 ، "المؤشر 1852 ، "الجزائري" 1852. كما ظهرت صحف "لأخبار" 1838 ، "صدى الجزائر 1849 ، "المرشد الجزائري 1832 ، "مرشد الجزائر" 1862 ، "صحيفة التل 1863 والتي استمرت إلى 1950. "الجزائر الجديدة 1858 ، "الرامي الجزائري 1858 ، "بريد الجزائر 1861، الأسبوعية السياسية "الجزائر" التي كان شعارها "الجزائر أصبحت فرنسية للأبد". وظهرت في البليدة صحيفة "الملاحظ البليدي" 1861.

([33]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص..

([34]) فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة، مرجع سبق ذكره، ص35.

([35]) فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة، مرجع سبق ذكره، ص.ص35. 36.

([36]) الزبير سيف الاسلام: مرجع سبق ذكره، ص15.

([37]) نفس المرجع

([38]) يعد من رواد الصحافة الجزائرية ومن المتحمسين للقومية الاسلامية ولد بالجزائر العاصمة 1886 وتوفي بها سنة 1932 ومن الصحف التي أنشأها "صحيفة الفاروق 1913 . وقال بن قدور بأنه اختار لها هذا الاسم لتكون بمشربها الاعتدالي فارقة بين الحق والباطل وآمرة بالمعروف وناهية عن المنكر".(محمد ناصر: مرجع سبق ذكره ، ص36).

([39]) يعتبر عمر راسم المشهور بروحه الوطنية الثائرة من رواد الصحافة الجزائرية ومن الأوائل الذين كانت لهم الجرأة في الجهر برفضهم للاحتلال ، فكرس فكره وقلمه وجهده للمقاومة الفكرية والثقافية عبر الصحافة المكتوبة. فأنشأ جريدة "الإصلاح" ، بعدها صحيفة "الجزائر 1908 التي تعد أولى محاولات الصحافة الإصلاحية المخلصة للوطن ، وشارك في تأسيس صحيفة "الفاروق" ولم يستسلم لمضايقات المحتل الفرنسي فبادر إلى إنشاء صحيفة "ذو الفقار" سنة 1913 ونظرا لتفطن الاحتلال الفرنسي لذكاء عمر راسم وروحه الوطنية كانت دوما تسارع لمصادرة صحفه وكتم انفاسه.

([40]) الزبير سيف الإسلام ، مرجع سبق ذكره، ص59.

([41]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص103.

([42]) نايلي نفيسة: مرجع سبق ذكره، ص6.

([43]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر، دراسة في الأبعاد الإتصالية والثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر3، 2016/2015. ص283.

([44]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر دراسة في الابعاد الاتصالية والثقافية، مرجع سبق ذكره، ص 297.

([45]) جيرار ليكرك:سوسيولوجيا المثقفين ، تر جورج كتورة ، ط1، بيروت ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2008 ، ص86.

([46]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر، دراسة في الأبعاد الإتصالية والثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر3، 2016/2015. ص284.

([47]) (صحافة المقاومة القلمية 1907-1923 وهي المرحلة الثانية لواحد من بين أهم التصانيف التاريخية لتاريخ الصحافة المكتوبة الجزائرية لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء : المرحلة الأولى: صحافة الإحتلال 1830-1907 . المرحلة الثانية: صحافة المقاومة القلمية 1907-1923. المرحلة الثالثة: الصحافة الجمعوية 1923-1936. المرحلة الرابعة: صحافة المقاومة السياسية 1936-1954. المرحلة الخامسة: صحافة فترة الثورة التحريرية .(للتفصيل حول مختلف التصنيفات التأريخية للصحافة المكتوبة الجزائرية أنظر: فضيل دليو: تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة 1830-2013 ، الجزائر ، دار هومة ، 2014)

([48]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر، دراسة في الأبعاد الإتصالية والثقافية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية علوم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر3، 2016/2015. ص285.

([49]) ابن تريعة: الصحافة الثقافية في الجزائر من التصدي للإستعمار إلى ترقية الذوق الفني، المساء،جريدة عمومية جزائرية، يوم 2013/10/21.

([50]) ابن تريعة، نفس المرجع.

([51]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره ، ص74.

([52]) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980. ص46.

([53]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص.ص74.75.

([♦]) الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، تزعم الحركة الإصلاحية الوطنية في الجزائر ما بين 1919 – 1923 ، ولد بدمشق سوريا في 1875 وتوفي بها في سنة 1936. وحسب محمد ناصر فقد استقال من النيابة العامة سنة 1921 ليتفرغ للمقاومة القلمية والصحفية ، فتعرض للعديد من المضايقات والمحاكمات الإنتقامية فحكمت المحكمة على صحيفته "الإقدام" بألف فرنك غرامة وخمسة آلاف فرنك تعويضات، الشيئ الذي أرهق الأمير خالد وجريدته التي توقفت سنة 1923 بعد صدور 120 عددا منها.

([54]) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ط1، مرجع سبق ذكره، ص48.

([55]) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ط1، مرجع سبق ذكره، ص43.

([56]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره ، ص.ص80.81.

([57]) نفس المرجع، ص.ص87.85.

([58])محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ط1، مرجع سبق ذكره، ص ص54 ، 55.

([59]) محمد ناصر: نفس المرجع، ص62.

([60]) محمد ناصر، نفس المرجع، ص55.

([61]) محمد ناصر: نفس المرجع، ص85.

([62]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر دراسة في الابعاد الاتصالية والثقافية، مرجع سبق ذكره، ص 299.

([63]) محمد ناصر: نفس المرجع، ص63.

([64]) فضيل دليو: تاريخ الصحافة المكتوبة الجزائرية، مرجع سبق ذكره، ص87.

([65]) محمد ناصر: مرجع سبق ذكره، ص90.

([66]) أسبوعية "وادي ميزاب1926-1929 " . ميزاب 1930-1931، "المغرب 1930-1931 ، النور 1931-1933 ، البستان 1933 ، النبراس 1933 ، الأمة 1933 -1934 ، الفرقان 1938.

([67]) فضيل دليو: فس المرجع، ص90.

([68]) محمد ناصر: نفس المرجع، ص66

([69]) نفس المرجع، ص67.

([70]) محمد ناصر: مرجع سبق ذكره، ص73.

([71]) من أبرز رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر من مواليد وادي سوف سنة 1890 كان كاتبا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يجمع بين الثقافة العربية والفرنسية ، عمل محاميا في كل من بسكرة ، والعاصمة ، توفي مغتالا بالجزائر العاصمة سنة 1959.

([72]) فضيل دليو: فس المرجع، ص92.

([73]) فضيل دليو: مرجع سبق ذكره، ص98.

([74]) محمد ناصر: مرجع سبق ذكره ، ص197.

([75]) محمد ناصر: نفس المرجع، ص198.

([76]) حجام الجمعي: المثقفون الأكاديميون والصحافة المكتوبة في الجزائر دراسة في الأبعاد الاتصالية والثقافية، مرجع سبق ذكره، ص301.

([77]) محمد ناصر: مرجع سبق ذكره ، ص206.

([78]) فضيل دليو: نفس المرجع، ص 104.

([79]) نفس المرجع، ص105.

([80]) محمد ناصر: مرجع سبق ذكره، ص206.

([81]) فضيل دليو: تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص.ص.112.108 .

([82]) نفس المرجع، ص112.

([83]) أبو تريعة، مرجع سبق ذكره.

([84]) فضيل دليو: تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر، مرجع سبق ذكره، ص102.

([85]) أبو تريعة : مرجع سبق ذكره.